أسلوب القرآن في عرض قصة آدم

التتابع التكاملي

دكتور / ماهر احمد محمد احمد الملاح
مدرس الأدب والنقد
بكلية اللغة العربية بأسيوط

« الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتب ولم يجعل له عوجا (١) فيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا » (١) · والصلاة والسلام على رسول الله أفصح من نطق بالضاد وبعد :

فالقرآن كتاب الله معجزة محمد صلى الله عليه وسلم ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تعددت فيه وجوه الاعجاز وكان أظهرها أسلوبه الذى مازال على كثرة البحث فيه مجالا خصبا للدراسة للكشف عن شيء لم تتناوله أقلام الباحثين على كثرتهم · وتاقت نفسى لأن يشرف قلمى بخدمة كتاب الله فاخترت (أسلوب القرآن فى عرض قصة آدم) وأقصد بالأسلوب (ما جاء فى مقدمة ابن خلدون : انه عبارة عن المنوال الذى ينسج فيه التراكيب أو القالب الذى يفرغ فيه ··· وهو ما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص) (٢) · واخترت هذا الجانب لأنى من خلال قراءاتى للقرآن

---

(١) سورة يوسف الآية رقم ٣ ·

(٢) د/ صلاح فضل فى (علم الاسلوب مبادئه واجراءاته ص ٧٢) ·

وما دار حوله من أبحاث وجدت ظاهرة فى الأسلوب لم ينتبه لها أحد فيفرد لها دراسة مستقلة وان أشار البعض سواء فى أحاديثهم أو كتاباتهم الى جزء من هذه الظاهرة التى أقصدها وهى ما يمكن أن نطلق عليها (التتـــابع التكاملى) ، لأن قصص القرآن فى معظمه تميز بذكر القصـة فى أكثر من موطن وقد دفع هذا التعدد الدارسين لأن يتخـذوا موقفين همـــا :

١ ــ من قال بوجود التكرار ورأى فيه اعجازا (٣) .

٢ ــ من قال بعدم التكرار (٤) .

ولم يصل أحد الى اســتنباط هذه الظاهرة الأســلوبية التى تعـد كاشــفة عن سر من أسرار الاعجـــاز للقــرآن الــكريم (٥) .

واقصد (بالتتابع التكاملى) أن القصة عندما تذكر فى مواطن متعــددة . يكون كل موطــن صورة جزئية للقصــة وتؤدى بهذا دورا فى كمال المعنى ولكن لا نصل الى تمــام الفائدة ومعالجة كل أدوار القصة فى نفس المتلقى الا بعد قراءة كل المواطن التى ذكرت فيها القصة مجتمعة .

---

(٣) من هؤلاء : الباقلانى اعجاز القرآن ص ٦٤ ، وأبو يحى الانصارى (فى فتح الرحمن فى كشف ما يلتبس من القرآن ص ٢٠٢ ، د/ محمد أبو زهرة فى (القرآن المعجـــزة الكبـرى) ص ١٦٠ ، ومحمد قطب عبد العال فى (نظرات فى قصص القرآن) ص ١١٣ .

(٤) ومنهم الكرمانى فى أسرار التكـرار ص ٤٧ ، وسيد قطب فى (ظلال القرآن) ص ١٢٤٣ .

(٥) فضـــلا عن ان قصـــة آدم لم يدرس أســـلوب القـــرآن فى عرضهما أحد فيما أعلم .

وهذا أسلوب معجز وليس فى استطاعة البشر ، لأنه يتعلق بكل موضع على حدة (٦) .

وفى نفس الوقت بكل المواطن مجتمعة مع بعضها . فترى كل موطن متآلفا مع ما يجاوره من موضوعات ، ومتفقا مع ما يتقدمه وما يعقبه فى الجو النفسى ، ويتحد عضويا فى بناء السورة ، وفى نفس الوقت كل المواطن التى ذكرت فيها القصة ـ مع تعددها ـ تقول ـ معا ـ معنى متكاملا يكتسب كماله من مواطن ذكره مجتمعة ، ويصبح المعنى بهذا غير مجزء أو مقسم ، ولكنه متداخل فى المواطن مع بعضه ، وكل هذا يحتاج الى قدرة خارجة عن حدود البشر ـ قدرة تتقنن صياغة الجزئيات ، وتراعى تجاورها مع غيرها من موضوعات وما لها من وحدة عضوية فى بناء السورة ، وما لها من نمط صوتى معين ، ثم يأتى مجموع هذه المواطن فى الصورة الكلية للقصة فيقول ما لم ينفرد به موضع على حدة ، ولا يحدث مع التباعد أو التقارب نفار أو خروج على المعنى الكلى للقصة سواء فى صورته الجزئية أى فى كل موطن على حدة أو فى صورته الكلية أى فى المعنى الكلى للقصة فى مجموع المواطن التى ذكرت فيها . ولا يستطيع ذلك الا العلى القدير وهذا وجه من وجوه الاعجاز فى أسلوب القرآن فى عرض قصة آدم عليه السلام حسب ما ظهر لى وما أريد أن ادلل عليه من خلال هذه الدراسة .

وبداية أريد القول بأنه (لا يصح أن تحكم مقاييس الفن القصصى فى الأدب البشرى بصورة آلية مطلقة على

(٦)

ما جاء فى القرآن الكريم فهو ليس كتاب أدب ، وقد اتبع فيه الخالق منطقه كما ابتدع فنه) (٧) ٠

والقرآن (انما صار معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف ، مضمنا أصح المعانى ٠٠٠ ومعلوم أن الاتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين شتانها حتى تنتظم وتتسق ، أمر تعجز عنه قوى البشر) (٨) ٠

ونحن أمام نص القرآن نجد قصة آدم جاء فيها الحديث عن الخلق ومادته وخصائصه ، وهذا الحديث أخذ صورا متعددة فى : ـ

١ ـ قوله تعالى : « واذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون ٠ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ٠ قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ٠ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم

---

(٧) محمد قطب عبد العال فى (نظرات فى قصص القرآن) ط سلسلة دعوة الحق السنة السادسة العدد ٥٩ لسنة ١٤٠٧ هـ ط رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ص ٥٠ ٠

(٨) د/ محمد احمد يوسف القاسم فى بحث بعنوان (اعجاز القرآن فى ترتيبه) منشور فى مجلة (المنهل) مجلة سعودية أدبية شهرية العدد ٤٩١ مجلد ٥٣ سنة ١٩٩١ ص ٤٣ ٠

قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (٩) ٠

٢ ــ « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » (١٠) ٠

٣ ــ « واذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى » (١١) ٠ الآيــة ٠

٤ ــ « اذ قال ربل للملئكة انى خالق بشرا من طين ٠ فاذا سويته ونفخت فيه من روحى » (١٢) الآية ٠

وتعد هذه المواطن بداية القصة يحكى فيها القرآن عن خلق آدم ، وأوردنا الآيات حسب ترتيب المصحف ، لأن هذا الترتيب جزء من الاعجاز (لأنه توقيفى لم يجتهد فيه رسول الله (ص) ولا أحد من الصحابة فى عهده ، أو من بعده ، وانما يتلقى ترتيبها الى جانب بعضها وحيا من عند الله تعالى بوساطة جبريل عليه السلام) (١٣) ٠

وبهذا نجد أول موطن تذكر فيه قصة آدم يتناول الخلق بتفصيل من زاوية خصائص الانسان ، دون الاشارة الى

---

(٩) سورة البقرة من آية ٣٠ الى ٣٣ ٠

(١٠) سورة الأعراف آية ١١ ٠

(١١) سورة الحجر الآية ٢٨ ، ٢٩ ٠

(١٢) سورة (ص) الآية ٧١ ، ٧٢ ٠

(١٣) د/ بكرى شيخ أمين فى (التعبير الفنى فى القرآن) طبعة دار الشروق بمصر وبيروت طبعة رابعة ١٩٨٠ ص ٢٧ ــ وان كان هناك خلاف فى هذا الأمر ٠

المادة التى خلق منها آدم ، ويتضمن الغاية من خلق آدم وهى (أن يخلف الله فى الحكم بين المكلفين من خلقه) (١٤) أو فى قيام شرع الله على الأرض . وتقرر الآيات فى النص الأول مكانة آدم فى الأرض « انى جاعل فى الأرض خليفة » .

ومن خلال رد الملائكة « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » يتضح الجانب الآخر من خصائص الانسان ويوضح فى نفس الوقت تعجب الملائكة ودهشتهم .

حتى أنهم عقدوا مقارنة بين ما يمكن أن يصدر من ذرية آدم وبين فعل الملائكة « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » وتأتى الاجابة بأن الحكمة عند الله لا يعلمها سواه والملائكة مع قربهم لا يعلمون « قال انى أعلم ما لا تعلمون » .

ويوضح النص ما غاب عن الملائكة من اختصاص الله آدم بعلم برفع منزلته ويجعله أهلا لما خلق من أجله « وعلم آدم الأسماء كلها » وتعليم الله تكريم وهو بصيغة لا يعلمها الا الله هل جعل فى جنس خلقه علما ؟ أو ألقى فى نفسه علما ؟ على أية حال تم التعليم لآدم على سبيل الاختصاص ، وقوله (كلها) يدل على تمام التعليم .

وبعد ذلك يأتى توضيح الموقف للملائكة ليعرفوا ما غاب عنهم ويزول التعجب وتتبدد الدهشة « فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء » على سبيل التعجيز ، ويأتى تذييل الآية « ان كنتم صادقين » فى مقارنة الانسان وما يمكن أن

---

(١٤) الفخر الرازى فى (التفسير الكبير) ط دار الكتب العلمية طهران ج ٢ ص ١٦٥ .

يصدر منه بكم وما تفعلون ، أو اذا كان تعجبكم فى مكانه الصحيح ٠

وذكر التعليم قبل سؤال الملائكة عن الأسماء يدل على أن آدم وقت سؤال الملائكة كان لديه القدرة على الاجابة مما يجعل المقارنة مستوفاة ، وبهذا يتواءم المعنى ويمسك بعضه بعضا فى تجانس وتماذج محكم ليدل على ترابط الجزئيات وهى تدور فى فلك الكليات فيعرف المتلقى ما دار قبل هبوط الانسان الى الأرض واذا كان الأسلوب معجزا فالاخبار معجز أيضا ٠

وتأتى اجابة الملائكة اقرارا بالعجز وتقديسا لله ورجوعا اليه « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » انه سبحانه مصدر العلم ينعم به على من يشاء من خلقه والحكمة فيما أراد « انك أنت العليم الحكيم » والمتأمل فى الأسلوب يجد هذا مناسبا جدا لما سألت عنه الملائكة وليتأكد هذا المعنى ويظهر جليا مقام آدم يوجه الله سبحانه وتعالى الأمر لآدم أمام الملائكة « قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم » وتأتى الاجابة موضحة مكانة آدم ، فهو خلق الله والملائكة كذلك ووجه السؤال لكلا الجنسين وعجز أحدهما وأجاب آدم « فلما أنبأهم بأسمائهم عند قدرة آدم على الاخبار بالأسماء ٠ تأكد ما فى علم الله وظهر ما غاب عن الملائكة فى الحكمة من خلافة آدم على الأرض ٠

ويجىء النص فى دقة معناه يسلم فكرة الى أخرى ويصعد بالمعنى فى تدرج ويرتقى بالمتلقى ٠ حتى يلم

بمقصود القرآن • فنرى ما تقدم يسوق الى الايمان بتفرد الله سبحانه بالعبودية وبالغيب وفى نفس الوقت نجد رحمته بخلقه • وتجلية الموقف لهم لا فرضها دون اعمال الفكر أو اقتناع العقل « ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض » و (لا خلاف بين العقلاء فى أن شرف الرتبة للعالم العلوى هو وجود الملائكة فيه ، كما أن شرف الرتبة للعالم السفلى هو وجود الانسان فيه » (١٥) فقد علم سبحانه بخصائص خلق مكانهم السماء وخصائص خلق مكانهم الأرض • وزاد المعنى دقة ليعطى المفهوم الكامل لعلم الله ، بأن تعدى هذا العلم الظاهر الى ما فى باطن النفى وما يكتمه الخلق « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » •

٢ ـ ويأتى الموطن الثانى من ذكر قصة آدم « ولقد خلقناكم ••• » (١٦) الآية •

فنرى استقلال هذا النص عن سابقه تماما • ونجد تغايرا ، فقوله هناك « انى جاعل ••• » يعطى فكرة عن اختيار الله لآدم فى خلافته •

وهنا نجد « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » نرى فيها أن مصدر الايجاد هو الله ويزيد المعنى فى زاوية أخرى لم نرها فى النص السابق هى أن الذى أحكم الصنعة وابتدع الشكل الذى عليه الانسان من جمال الهيئة وعلو الرتبة فناسب هنا جمال الصورة علو المكانة هناك :

---

(١٥) الفخر الرازى فى (التفسير الكبير) ج ٢ ص ١٦٠ •
(١٦) سورة الأعراف آية ١١ •

٣ ـ والموطن الثالث : « واذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من صلصل من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ... » (١٧) الآية .

٤ ـ والموطن الرابع : « واذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى » (١٨) الآية .

هذان الموضعان يتحدثان عن مادة الخلق وهو ما لم نلاحظه فى الموضعين السابقين . وكل من الموطن الثالث والرابع أعطى للمتلقى جانبا عن خلق آدم فنجد أحد الموضعين وضح المادة « من طين » .

والرابع وضح الحالات التى مر بها خلق آدم من هذا الطين . فنجدها طينا آنتين « الحمأ » ثم صور « المسنون » ثم جف وصار له صوت « صلصل » . وهكذا لم تستقل آية باداء هذا المعنى ولكن عندما تم الخلق توضح الآيتان جانبا آخرا ومهما ولعله السبب فى تكريم آدم وهو نفخة الرحمن التى أجرت الحياة فى آدم وأسكنت فيه الروح وكان فى آدم ما يؤهله لحمل رسالته على الأرض وحوى السر الذى غاب عن الملائكة فهو بهذه الروح صاحب مكانة عظيمة اذا تغلب الجانب الروحى على تصرفاته . وعكس ذلك اذا

---

(١٧) سورة الحجر ٢٨ ، ٢٩ .

(١٨) سورة ص ٧١ ، ٧٢ .

انحطت به خصائص الطين (١٩) ، وفى نفس الوقت أصبح أهلا للاختيار والتكليف ويستطيع أن يفعل الشىء وضده . من أجل ذلك فاق الملائكة فى حالة صلاحه .

وننتقل بعد ذلك الى جزئية أخرى من القصة وهى :

الأمر بالسجود لآدم :

والمتأمل فى أسلوب القرآن فى هذه الجزئية يجد ترابطا عضويا بين النص وما قبله وما بعده فى كل موضع مع الأخذ فى الاعتبار بأننا لا نكمل النصوص السابقة فقط وانما سنضيف الى ما تحدث منها عن الأمر بالسجود ما جاء فى المصحف كله يعالج هذه الجزئية من قصة آدم .

ويأتى الأمر بالسجود فى المواطن الآتية : ـ

١ ـ قوله تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (٢٠)

٢ ـ و : « ثم قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين » (٢١) .

---

(١٩) وان اسند الصلاح والفساد لنوع الطين تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل فى معانى التنزيل) لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الشهير بالخازن طبعة ثانية ١٩٥٥ مطبعة الحلبى بمصر جـ ١ ص ٤٦ .

(٢٠) سورة البقرة ٣٤ .

(٢١) الأعراف ١١ .

٣ ــ و : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين • فسجد الملئكة كلهم أجمعون • الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين » (٢٢) •

٤ ــ « واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا » (٢٣) •

٥ ــ و : « واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » (٢٤) •

٦ ــ « واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى (٢٥) •

٧ ــ و : « اذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين • فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »(٢٦) •

أولا : يعد هذا الجزء من أكثر أجزاء القصة عددا فقد جاء فى سبعة مواطن • وهذا بالطبع يعطى دلالة على أن الله أراد لآدم التكريم •

---

(٢٢) الحجر ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ •
(٢٣) الاسراء ٦١ •
(٢٤) الكهف ٥٠ •
(٢٥) طه ١١٦ •
(٢٦) ص ٧١،٧٢،٧٣،٧٤ •

ثانيا : تحليل هذه النصوص وايضاح التتابع التكاملى فيها بالآتى :

جاء الامر بقوله تعالى : « واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا » فى اربعة مواطن (٢٧) وكل موطن له خصوصيته ، فقد جاء الأمر على هذه الصورة بعد بيان مكانة آدم وهذه المكانة كانت على حالتين :

الأولى : فى حالة تكريمه ورفع منزلته عندما اختصه الله بعلم علمه اياه « واذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الأرض خليفة الخ » (٢٨) .

والثانية : يعد توضيح ضعف آدم ونسيانه أمر ربه « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » (٢٨) .

وجاء الأمر على هذه الصورة من الأسلوب فى الموضعين الآخرين اما بعد عرض مشهد من الآخرة ، وما يمكن أن يحدث من ندم لمن أطاع الشيطان عند الحساب ، ورؤية الأعمال مسجلة عند الله ، ونرى هذه الصورة في أسلوب القرآن حاضرة فى لحظة وقوعها معيشة (لأن كل ما هو

---

(٢٧) البقرة ، والاسراء ، والكهف ، طه .
(٢٨) سورة البقرة من ٣٠ ، ٣٣
(٢٩) طه ١١٥ .

ممكن هو في نفس الوقت واقعي) (٣٠) وبذا يدركها المتلقي وكأنه يراها ماثلة أمامه ، قبل مجيء ساعة الحساب ولا يستطيع النجاة « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ... » (٣١) الآية .

واما بعد دعوة محمد (ص) الى تذكر أن الله يعرف طبائع البشر وأنه أحاط بها قديما ، وذلك في معرض تكذيب بعض قومه (ص) في حديث الاسراء « واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » (٣٢) الآية .

وهكذا يتضح جليا خصائص الأسلوب القرآني في تتابعه التكاملي: فترى المؤضعين اللذين ذكرا بعد بيان مكانة آدم يعالجان صورتين :

الأولى : التكريم لاظهار فضل آدم .

والثانية : تسير في نفس الاتجاه ، ونرى التكريم حتى عند الضعف ويصبح المعنى متسعا ليشمل الانسان على حالته التي خلقه الله عليها يطيع ويعصى ولكن لا تخرج المعصية عن سياق قصة آدم أي لابد أن يعقبها توبة وإنابة ، أما العصيان الذي يخرج بالانسان عن حظيرة الايمان فمرفوض .

---

(٣٠) أ.م يوشنسكي في (الفلسفة المعاصرة في أوربا) تعريب عزت قرني دكتور . سلسلة عالم المعرفة ط ١ الكويت عدد ١٦٥ سبتمبر سنة ١٩٦٢ ص ٣٤٨ .

(٣١) الكهف ٥

(٣٢) الاسراء ٦٠ .

والموطنان الآخران • أحدهما يكون تسليح الانسان بالمعرفة وتعريفه ما سيحدث حتى يكون على بينة ويختار على بصيرة ، ويكون متحملا نتيجة اختياره •

والثانى : تطييب لخاطر النبى صلى الله عليه وسلم ويصبح المعنى لا تحزن فريك أحاط بالناس ويعلم خصائصهم وما حدث لا يعوقك عن دعوتك • وحديث الاسراء كان اختبارا حتى ينجو صاحب الايمان ، ويتسع المعنى ليعبر عن رحلة الانسان على الأرض كلها وليس مرتبطا بحادثة واحدة فى هذا الموطن •

وبهذا الأسلوب نرى كل موطن له خصوصية والنص غير مكرر ، وكل موطن مرتبط عضويا بمكانه وموضوعيا بأجزائه فى الأماكن الأخرى فى صورة كلية مترابطة • يشع دلالات متعددة كلما تعدد ذكر القصة •

وأردت الاقتصار على جزئية صغيرة من القصة ، لأدلل دلالة قاطعة على عدم التكرار فى القرآن الكريم ، لأن التكرار : اعادة نفس الشىء مرة أخرى أو مرات ، وهو ما لم يحدث كما نرى فى تعدد مواطن ذكر قصة آدم •

وجاء الأمر بالسجود كذلك بصيغتين مختلفتين :

الأولى : « ثم قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا ••• » (٣٣) الآية •

---

(٣٣) الاعراف ١١ •

والذى ينظر نظرة سريعة ربما لا يدرك فرقا بين هذه الآية وما سبقها فى الأمر بالسجود . أما بالتدبر والتأمل والتأنى فى فهم الأسلوب فنجد هنا أن الأمر جاء على التراخى دلت على ذلك (ثم) وبالتفكر فى خصوصية هذا الموضع وزيادة توجيه المعنى فيه نرى الموقف يختلف تماما عما سبق . بل امتاز بخاصية لازمة له ولا توجد فى أمكنة أخرى ذكرت فيها قصة آدم ، وهذه الخاصية هى : امتنان الله على بنى آدم بالتمكين فى الأرض وتيسير العيش فيها ومع ذلك لم يدرك الانسان هذا المعنى فقلما يشكر ربه الذى أنعم عليه « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون » (٣٤) وبهذا جاء الأمر بالسجود بعد ذكر نعم الله وفضله فتميز النص هنا بسمه اشعار الانسان بهذه النعم التى تعهدته منذ النشأة والخلقة ، و « ثم » لها ارتباط وثيق بأسلوب يعطى فرصة للعقل لأن يتدبر كل مرحلة من الانعام على حدة « ولقد خلقناكم » هذه جزئية يدركها المتلقى وينتهى الى أن الله هو الذى خلقه ، وتأتى « ثم » مرة أخرى « ثم صورناكم » وهى جزئية أخرى فيها امتنان بحسن الصورة وجمال الهيئة ، فالانسان أجمل مخلوقات الله على الأرض ، فتكون نعمة التصوير جزئية مستقلة تستوجب التدبر وبعد ذلك تأتى « ثم » فى قوله « ثم قلنا للملئكة اسجدوا ... » (٣٥) الآية .

---

(٣٤) الاعراف .
(٣٥) الأعراف ١١ .

وهكذا يتدرج الأسلوب ليجعل تكريم آدم نعمة جديدة مستقلة عما سبق وبهذا الترابط العضوى نجد التراخي فصل بين نعمة وأخرى وتأمل هذه النعم متجدد مع كل مرحلة فى ايجاد الانسان ثم تصويره ثم تكريمه . وهذا ما لم يتكرر فى موضع آخر .

والصيغة الثانية فى قوله : « فقعوا له ساجدين » .

وذلك فى موضعين : (٣٦)

وهذان الموضعان يتميزان بذكر مادة الخلق ومراحله .

وكما سبق المادة كانت « الطين » فى موضع ومراحل الخلق كانت في الموضع الثانى واكتمل الخلق بنفخة الرحمن « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى » . وفى اسلوبين مختلفين عن أصل الخلقة مرة وعن مراحل الخلق أخرى نجد الصيغة التى جاء بها الأمر « فقعوا » وهى لفظة ترسيم حركة السجود وتجعله مرتبطا زمانا بنفس اللحظة التى صدر فيها الأمر ، وعلى ذلك النص لا يعطى فرصة للسؤال أو الاعتراض بل أمر قاطع بعيد عن رغبة الله سبحانه وتعالى ويوحى بطلب التلبية السريعة المرتبطة بالتزامن مع الطلب .

وبهذا نرى تداخل الأسلوب وعدم الفصل من موضع بالقصة دون آخر وعدم القدرة على فصل هذه المعانى ، أى

---

(٣٦) الحجر ٢٩ ، وص ٧٤ .

المعنى لا يكتمل الا بالمواضع كلها معا ولا يمكن الاستغناء عن موطن ذكرت فيها القصة مما ينفى القول بوجود التكرار فى قصة آدم ٠

وتحققت التلبية والطاعة السريعة من الملائكة وجاء ذلك متزامنا مع الأمر « فسجدوا » وبهذا نرى الاسلوب (بمعنى الكلية المتكاملة الشاملة لكل السمات المتفرقة) ٠

موقف ابليس :

الأمر بالسجود لآدم كان موجها من الله سبحانه وتعالى الى الملائكة واجابتهم كانت الطاعة ٠ وجاء استثناء ابليس لعنه الله من هذا السجود ٠ فهل كان ابليس من الملائكة ؟ لأن الأمر وجه اليهم خاصة « واذ قال ربك للملئكة الخ » ٠ وعلى ذلك اما أن يكون الاستثناء منقطعا وعلى هذا وجه الأمر على التغليب وابليس بين الملائكة ٠

واما أن يكون ابليس من جنس الملائكة ولا يتعارض هذا مع قوله « كان من الجن ففسق عن أمر ربه » لأن كلمة « الجن » من استجن أى استتر (٣٨) ٠

---

(٣٧) الأسلوب الأدبى من كتاب (مناهج علم الآداب) لنورف شتريكا ـ تعريب مصطفى ماهر بحث منشور فى مجلة فصول المصرية المجلد الخامس العدد الاول ١٩٨٤ ص ٧١ ٠

(٣٨) لسان العرب طبعة دار المعارف مادة « جنن » وفيه أيضا (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) قالوا الجنة ههنا الملائكة عند قوم من العرب ٠

وهذا ينطبق على الملائكة لعدم القدرة على رؤيتهم ولكن الاصح ما ذكره القرآن أنه مخلوق من نار فدل على أنه جنس مغاير للانسان والملائكة ٠

وجاء عرض ما حدث من ابليس لعنه الله فى عدة مواضع هى :

١ ــ قوله تعالى : « الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (٣٨) ٠

٢ ــ وقوله : « الا ابليس لم يكن من الساجدين » (٤٠) ٠

٣ ــ وقوله : «الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين» (٤١)

٤ ــ وقوله : « الا ابليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا » (٤٢) ٠

٥ ــ وقوله : « الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » (٤٣) ٠

٦ ــ وقوله : « الا ابليس أبى » (٤٤) ٠

=

وقال الفراء فى قوله تعالى : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » قال يقال الجنة ههنا الملائكة ص ٧٠٣ ٠

(٣٨) البقرة ٣٤ ٠

(٤٠) الاعراف ١١ ٠

(٤١) الحجر ٣١ ٠

(٤٢) الاسراء ٦١ ٠

(٤٣) الكهف ٥ ٠

(٤٤) طه ١١٦ ٠

٧ – وقوله : « الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » (٤٥) ٠

وبالتأمل فى هذه المواطن نجد عدم تكرار لنص كما هو بلفظه ومعناه بل نجد كل موطن له معناه الخاص به والذى يعالج قضية رفض ابليس لعنه الله من زاوية معينة وفى نفس الوقت تتعاون المواطن كلها لنرى فيها صورة كاملة للمعنى من كل زواياه وهذا هو الاعجاز والتفرد فى اسلوب القرآن وكيف لا « وأقصى ما يطمح اليه الأدب أن يحسن الأديب اختيار ألفاظه فتكون من النوع الذى يملك قوة الايحاء وعمق التأثير ٠٠٠ وان القدر الأعظم من قدرة الأديب ليكمن فى تفجير طاقة الكلمة لتلقى بظلالها وتفعل فعلها فى الخيال حين يختارها ملائمة للفكر والوجدان قادرة على احياء التجربة النفسية لدى المتلقى) (٤٦) ٠

وكما نرى القرآن يفى بهذه الأغراض ويزيد عنها فى نظم يرتقى ويسمو ليصبح اعجازا ليس فى مقدور البشر ونرى علوه فى تتابع تكاملى ٠

وفى محاولتنا استجلاء هذا التتابع فى النصوص السابقة نجد :

---

(٤٥) ص ٧٤ ٠

(٤٦) د/ محمد لطفى حويل فى (أسلوب الحق فى القرآن الكريم) رسالة دكتوراه مخطوطه فى كلية اللغة العربية فى اسيوط ١٩٨٥ ص ٢٩٨ ٠

الموطن الاول فى ترتيب المصحف جاء على صيغة معينه لأن الموقف قبله كان توضيح مكانة آدم وتفضيله بعلم علمه الله اياه وأن الله يناغ على اجاطته للغيب بعد الوضوح التام لمكانة آدم طلب السجود من الملائكة فجاء عوض رفض ابليس بكلمات جامعة للموقف لأن ابليس عرف مكانة آدم فجاءت الكلمات موضحة اباء ابليس واستكباره وكفره، وهذه الأفعال أبى واستكبر وكان من الكافرين فى ارتباطها وتجاورها تطبع فى ذهن المتلقى المعنى متكاملا وفى نفس الوقت على عادة أسلوب القرآن نرى التدرج فيسوق النص الفعل البشرى شيئا فشيئا فأول الأمر امتنع ابليس أو كره السجود . وعندما حدث له الامتناع عن السجود أو كراهيته له زاد خطوة أخرى ، فكان استكباره . وعند ذلك أوصله استكباره الى الكفر والعياذ بالله . وبهذا نرى كل كلمة تعطى المعنى فى تصاعد حتى يصل الى الذروة ويكتمل و (من ذلك يخلص لنا أن القرآن الكريم انما ينفرد بأسلوبه لأنه ليس وضعا انسانيا البته) (٤٧) .

وفى آخر موضع تذكر فيه قصة آدم يأتى قوله : « الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » وقد يقال ان الاستكبار والكفر فى جانب ابليس ذكرا قبل ذلك فى الموضع الأول مع الاباء . ويؤديا نفس المعنى هنا ويكون حدث تكرار . والرد على ذلك : أن الموضع الأخير يستعرض حجة

---

(٤٧) مصطفى صادق الرافعى (اعجاز القرآن والبلاغة النبوية) الطبعة الثالثة ١٩٢٨ ـ ص ٢٠٣ .

ابليس عندما سئل عن عدم سجوده . ويرد على ذلك وظهرت حجته وبذلك يصبح الاستكبار بعد وهن هذه الحجة كاشفا بجلاء عن الكفر فالسياق اذن يعطى معنى جديدا وفى باقى المواطن التى عرضت موقف ابليس نجد ان الألفاظ صيغت بقدرة الهية ووجد فى التراكيب مع التنوع الالمام بجزئيات الموقف واثرائه بفيض وفير من المعانى وأصبحت الصياغة زادا متجددا مع كل مرة تذكر فيها قصة آدم لعرض هذه الجزئية حتى يكتمل الموقف بعد قراءة كل النصوص ويكون تمام الفائدة بالصورة الكلية المتبثقة من كل المواطن .

وعلى ذلك نجد قوله تعالى « لم يكن من الساجدين » (٤٨)

الصياغة على هذه الصورة فى هذا الموطن جاءت بعد عرض الحديث عن الخلق والتصوير . وتضمن النص أن يكون المقصود ذرية آدم . فتكون المعركة موجودة ولكن ليست آنية فيها المواجهة ولذا كان مجرد الاعلام عن تخلف ابليس يتمشى مع الموقف فهو تخلف وكفر ، وعندما يزيد النص شيئا فان الموقف يستدعيه كما سيأتى :

أما فى قوله : « الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين .. » (٤٩) .

فنجد فيه ما لم يدل عليه النص السابق لأننا نجد كره ابليس لأن يسجد والسبب هو المادة التى خلق منها آدم

---

(٤٨) الأعراف ١١ .

(٤٩) الحجر ٣١ .

ومرت مراحل الخلق مرحلة بعد أخرى وكان ابليس لعنه الله امتنع عن السجود لكراهيته لاصل خلقة آدم من الطين أو لأن خلقه مر بالمراحل التى ذكرت فى النص الذى بعد ذلك وعلى عادة الأسلوب القرآنى نجد زيادة فى الافادة عندما نقرأ قوله : « الا ابليس قال : أأسجد لمن خلقت طينا الآية » نجد مع سؤال ابليس الانكارى تصريح بحجته والسبب فى امتناعه عن السجود ٠

ويتكامل هذا الموطن مع ما يليه عندما يوضح جنس ابليس ومن أى شىء خلق ٠ لأن نفس المتلقى سيتساءل : اذا كان ابليس لم يسجد لآدم لأنه مخلوق من طين فمن أى شىء خلق هو ؟ فيأتى النص الذى بعد ذلك فى ترتيب المصحف مباشرة ــ ليدلل على ترابط الصورة مع تعدد المواطن ــ حاملا الاجابة على هذا السؤال ٠ ويزيد جانبا آخر هو أن جنس الخلق ليس شرطا فى المعصية ، ولكن جاءت المعصية نتيجة لفسق ابليس بخروجه عن أمر ربه « الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » (٥٠) وفسقه جاء بسبب حسده لآدم وجاءت (عداوته لأن عدم سجوده لآدم كان سبب طرده من الجنة ٠ ومن هنا يحاول أن يغوى آدم وذريته » (٥١) فتأتى تكملة النص لتوضح مدى البعد عن الصواب وجسامة الخطأ عندما يركن بنو

---

(٥٠) الكهف ٥٠ ٠

(٥١) د/ عبد الله محمود شحاته فى (أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم جـ ١ هيئة الكتاب المصرية ١٩٨١ ص ٢١٠ بتصرف ٠

آدم الى ابليس وذريته ليحيد بهم عن الصواب « أفتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » (٥٢) ٠

وهكذا نجد عناصر القصص مستوفاة « فالمقومات الفنية للقصة تتمثل فى البيئة والحدث والشخصيات والحبكة والأسلوب »(٥٣) وهو ما تحقق فى قصة آدم بل يزيد على ذلك استخدام القرآن لتفاوت الفهم حسب كل متلقى فيأتى الموطن السادس ليجعل البشرية تذهب فى درجة الفهم بحسب ما أودع فيها من عقل مفكر ــ كل مذهب ، ويأخذ كل متلقى بحسب قدرته على الفهم ، وذلك بعد ما طوف النص القرآنى بأسلوبه المعجز يعرض لمحات عديدة وتصريحات جميلة يأتى هنا فيترك العقل الانسانى ليقوم بالوظيفة التى خلق من أجلها فيكون قوله : « الا ابليس أبى »(٥٤) وبذا ينفذ اللفظ القرآنى فى هذا الموضع عن طريق آخر غير ما مر بنا فى النصوص السابقة التى أفاضت كل آية بحسب موقعها وهنا تتلقى النفس حصيلة ما وعت لتدركه جملة من هذا الايجاز ٠ ومع معالجة الموطن لهذا الجانب من القصة بأسلوب مغاير لم نجد نصا مما سبق اكتفى بهذه الكلمة أو اقتصر على هذا المعنى ٠ ويعد تغاير طريق المعالجة تغييرا فى الأسلوب ٠

---

(٥٢) الكهف ٠

(٥٣) د/ صفوت يوسف زيد فى (التيار الاسلامى فى قصص عبد الحميد جودة السحار) ط هيئة الكتاب المصرية ١٩٨٥ ص ٢٦٧ ٠

(٥٤) طه ١١٦ ٠

وننتقل الى جزئية أخرى في أسلوب القرآن في عرض قصة آدم وهي : محاجة ابليس .

اذا كانت الآيات السابقة عرضت عدم خضوع ابليس لأمر الله بامتناعه عن السجود ، فان الآيات الآتية توضح محاجة ابليس ، ولم نجد هذه المحاجة في سورتي البقرة وطه وبالتأكيد كان الموقف لا يستدعي هذه الجزئية ، وفي نفس الوقت لا يعطي استقلالية لموطن فهنا نحن نرى معنى يكتمل مع هاتين السورتين على الرغم من أنه ذكر في غيرهما اذا القصة كل متكامل في القرآن كله .

وتبدأ المحاجة بسؤال رب العزة عن سبب عدم سجود ابليس ، وجاء هذا في ثلاثة مواضع هي :

١ ـ قوله تعالى : « قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين »(٥٥) .

٢ ـ وقوله : « قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون »(٥٦) .

٣ ـ وقوله : « قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين »(٥٧) .

---

(٥٥) الأعراف ١٢ .
(٥٦) الحجر الآية ٣٢ ، ٣٣ .
(٥٧) ص ٧٥ .

والمتأمل فى هذه المواطن الثلاثة يجد عدم تكرار مع انها تنافش جزئيه واحدة ، ولكن بالتدبر نجد اسلوب القرآن فى تتابع تكاملى يتعامل مع ذهن المتلقى بطرق متنوعة تجعله يأخذ فائدة مع كل مرة تختلف عما قبل وما بعد ، وفى نفس الوقت نجد تمازجا تاما وائتلافا معجزا فى ترابط الآيات ببعضها حتى يتم المعنى من كل الوجوه فى الصورة الكلية للنصوص بفصاحة « انفرد بها القرآن تقوم على جزالة اللفظ وحسن المعنى أولا فاذا جاء ذلك فى نظم فريد لم يسبق اليه ، كان ذلك ثوبا جديدا من أثواب الحسن »(٥٨) .

وبدراسة المواطن السابقة وتحليلها نجد فى الموطن الأول عندما تحدث رب العزة عن الخلق على الاجمال والتصوير لبنى آدم وأمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لا على سبيل العبادة بل لقدرة الله الذى أبدع قال « الا ابليس لم يكن مع الساجدين » ويتضح الترابط فى النص القرآنى فى صورته الجزئية ، عندما أراد الله سبحانه أن يسجل على ابليس أن هذا الامتناع عن تلبية الأمر كفر ، ولكن رحمة الله حتى فى حالة امتناع ابليس تعطى له الفرصة كى يراجع نفسه « ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك » والموطن الى هذا الحد لم يتضمن التصريح بمادة الخلق لآدم ، الا أن النص القرآنى يأتى بها هنا فى رد ابليس لنجد معنى متكاملا « قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ونزداد معرفة بخواص

---

(٥٨) د/ أحمد جمال العمرى فى (مفهوم الاعجاز القرآنى حتى القرن السادس الهجرى) ط دار المعارف مصر سنة ١٩٨٤ ص ١٥٧ .

أسلوب القرآن فى هذه الموضوعية فى نقل وجهة نظر طرفى الحوار حتى ولو كان أحدهم على خطأ لان « من السمات الواضحة فى محاورة القرآن الكريم المحافظة على حق الخصم وانصافه من كل وجه »(٥٩) حتى يصبح المتلقى منحازا الى الصواب بنفسه لا مفروضا عليه فكرة مسبقة بل لابد لعقله أن يعمل ويصل الى اقتناع بعد تدبر ٠

ويأتى الموطن الثانى ليعبر عن حسد ابليس وغيرته عندما يصرح بمراحل خلق آدم « لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون »(٦٠) ٠

ولذلك نرى ترابط المعنى بين هذا الموطن والذى يليه على التباعد بين موضع سورة الحجر وسورة (ص) فنجد آدم قد اكتسب شرفا أكثر فى الموطن الثالث ٠ « قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين »(٦١) فلم نجد فى الآيات السابقة قوله : (بيدى) لتعطى هنا معنى جديدا هو : أن آدم مع وضوح مادة خلقه فقد أراد الله تكريمه ، ويعد التطاول على أمر الله بالسجود له استكبارا وعلوا ممقوتا « أم كنت من العالين » على طاعة الأمر حتى يحق لك عدم السجود ، ويأتى مناسبا مع هذا تسجيل الله على ابليس كفره عندما تمادى فى عدم طاعته

---

(٥٩) د/ عبد الحليم حفنى فى (أسلوب المحاورة فى القرآن الكريم) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٨٥ الطبعة الثانية ص ٣١ ٠

(٦٠) الحجر ٣٣ ٠

(٦١) ص ٧٥ ٠

وعناده بثبوته على موقفه « قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ولا يظن احد ان هذه الجزئيه هنا فى سورة (ص) تكررت فى سورة الاعراف . لان السؤال فى الاعراف عن سبب الامتناع عن تلبيه الأمر بالسجود ، اما هنا فكان السؤال عن التعالى على ما كرم الله (لما خلقت بيدى) وبهذا يصبح الجزء الأخير ليس تكرارا ، بل مع تنوع الأسلوب يكون قد وضح تماما أن ابليس ليس لمجرد خطيئته عومل على أساس الخطأ بل اعطيت له الفرصة ليظهر له خطؤه وبذا يتضح الى أى مدى وصلت الرحمة الالهية حتى مع العناد والمعصية . وفى نفس الوقت ندرك أن سؤال الملائكة « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الخ .. »(٦٢) كان سؤالا يحتاج الى اجابة تذهب حيرة فى نفوس الملائكة ، ولذلك عندما جاء الأمر بالسجود لآدم أطاع الملائكة ربهم ، أما ابليس لعنه الله فقد جاءت اجابته غرورا واستكباراً وظن أنه خير من آدم ، وبهذا الترابط بين النصوص المتعددة وتآلفها فى اظهار المعنى يتضح التتابع التكاملى .

طرد ابليس من الجنة وهى جزئية من محاجة ابليس لأنها ثمرتها ونتيجتها .

فى الموطن الأول كان استفسار عما منع ابليس من السجود فجاء جواب ابليس برد الأمر ووضح حجة واهية خيلت له أنه خير من آدم ، فكان جواب الله عليه « قال اهبط

---

(٦٢) سورة البقرة ٣٠ .

منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين »(٦٣) .

- حكم عليه الله بالهبوط ويتبادر الى الذهن انه هبوط الى درك اسفل ، ويحمل معنى نزول مهانة ابليس وتقليل شأنه وذلك لأن السبب غضب الله عليه « فما يكون لك أن تتكبر فيها » وبهذه الجزئية من الآية نجد الجو الشعورى والنفسى لم تنقطع فيه الانفعالات الوجدانية « بل جعل الناظر فى النص يتابعه خطوة خطوة وينفعل معه أولا بأول ، ويتحرك خياله ويتأثر حسه ، ونشترك مشاعره »(٦٤) .

وهنا نجد التكبر وهو لا يليق بمن يسكن الجنة . ولذا أصبح ابليس بتكبره هذا غير أهل لسكناها « فاخرج انك من الصاغرين » وأصابه الصغار والمهانة .

ويأتى الموضع الثانى فيعالج هذه الجزئية بصورة مختلفة عندما سأله رب العزة « قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين ... الخ »(٦٥) .

فنرى السؤال فيه حضه على الطاعة ، فجاء رد ابليس يفصح عن تماديه وعدم طاعته ، فهنا معصية فوق معصية : عدم سجود ، وقوله (لم أكن) تعنى معنى لا ينبغى أن يصدر

---

(٦٣) سورة الاعراف ١٣ .

(٦٤) سيد قطب فى (التصوير الأدبى أصوله ومناهجه) ط دار الشروق الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٠ ص ٤٧ .

(٦٥) الحجر ٣٣ .

منى وليس من الممكن حدوثه فجاء قول الله سبحانه مترتبا على ذلك : « قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك اللعنة الى يوم الدين »(٦٦) وهذا المعنى مختلف تماما عن سابقه . فالخروج من الجنة لا يعبر عن المعنى المقصود تماما بمفرده . ولذا يأتى قوله (رجيم) ليضيف معنى جديدا الى الخروج فيصبح المعنى سبب ابليس وطرده وليس خروجا عاديا ، ولكن للاذلال وكون لفظة (رجيم) على هذا الوزن أى مرجوم تضيف ما لم نجده فى الموضع الأول ، بأن الكواكب سترجمه اذا استرق سمعا أو زيادة المعنى بأن يصبح المقصود الخروج من الجنة وعدم القدرة على الاقتراب منها ، ويستصحب هذا (اللعنة) ومجيء الكلمة معرفة يوحى بأنها موقوتة بزمن الطرد بل مستمرة دائمة الى يوم الدين ، وهو ما لا نجده فى الموطن السابق على هذا النمط .

وجاء التناسق فى دلالة الألفاظ اذ (ليس الغرض بنظم الكلم ان توالت ألفاظها في النطق ، بل ان تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذى اقتضاه العقل)(٦٧) .

ويجيء الموطن الثالث ليكشف عن اضافة جديدة وفى نفس الوقت يرتبط عضويا بموقعه فى سورة (ص) وذلك عندما كان سؤال رب العزة « قال يا ابليس ما منعك أن

---

(٦٦) الحجر ٣٤ ، ٣٥ .

(٦٧) د/ احمد عبد السيد الصاوى فى كتابه (النقد التحليلى عند عبد القاهر الجرجانى – دراسة مقارنة) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٧٩ ص ١٥٧ .

تسجد لما خلقت بيدى • استكبرت أم كنت من العالين » هنا رب العزة يريد من ابليس أن يوضح سبب امتناع ابليس وتحقيره فى موقفين لا ثالث لهما الاستكبار والتعالى • فتأتى اجابة ابليس لعنه الله « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » حقا اجابة ابليس واحدة ولكن ما وجه له يختلف من موطن الى آخر ففى سورة الأعراف كان قول الله « ألا تسجد اذ أمرتك » ويفيد الحض على الطاعة فاذا لم نحدث الطاعة ابتداء فان الأسلوب يحض عليها فيأتى جواب ابليس اصرار على موقفه بل يوضح حجته فى ذلك ، أما هنا فى سورة (ص) كان الأسلوب فى خيار بين أمرين : الاستكبار والتعالى فتأتى اجابة ابليس شاملة للأمرين فى زعمه أنه خير من آدم ، فأطبق عليه الذنب وزاد الاثم وجاء بعد ذلك قوله « قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك اللعنة الى يوم الدين »(٦٨) وقوله لعنتى تجعل الأمر مختلف عن سابقه فى قوله : (اللعنة) لأن الاضافة مصدرا للعنة القادر ومن أصابته لعنة الله لا يجب أن يقترب منه أحد أو يتعامل معه فضلا عن الانحياز اليه • وبهذا نرى مجىء كلمة لعنة معرفة ومطلقة مرة ومضافة الى رب العزة مرة أخرى جعل تغايرا فى الأسلوب وثراء فى المعنى •

ويأتى بعد ذلك فى تسلسل أحداث القصة طلب لابليس وقت غضب الله عليه وطرده من الجنة : « قال انظرنى الى يوم

---

(٦٨) سورة ص ٧٧ ، ٧٨ •

يبعثون قال انك من المنظرين »(٦٩) والشيء الملاحظ في هذا الموطن في اسلوب القرآن : انه مهما اختلفت المعايير العاطفة واختلف الشعور من الحب والكره والرضا والسخط فان الميزان لا ينحرف والعدل لا يتخلف وذلك لأن القرآن صياغة الرحمن • ولذا نرى طلب ابليس وقت المعصية التي استوجبت غضب الله عليه ، ومع ذلك جاءت الاجابة بالايجاب ولبى الله سبحانه ـ لحكمه وان خفيت ـ « قال انك من المنظرين » •

وهكذا بقاء ابليس وعدم موته تعلق بوقت هو نهاية الدنيا وظهور الحق عندما يعود الناس لخالقهم عند بعثهم للحشر والحساب وهذا يعطينا فكرة على أن عمل ابليس لا يتوقف بل يصاحب الانسان بعد موته في قبره ولا تنتهي غوايته الا عند نهاية الرحلة عند يوم القيامة والقرآن يسوق للانسان هذه الساعة وما يصدر من الشيطان لمن أطاعوه وانخدعوا بطرقه ووسائله « وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم»(٧٠) ويكون القرآن قد وضح النتيجة لكي يتسلح المؤمن ولا ينساق لأدوات الشيطان التي يتعرض لها فيما بعد من أجزاء القصة

---

(٦٩) سورة الاعراف ١٤ ، ١٥ •

(٧٠) سورة ابراهيم آية ٢٢ •

واحيانا يعرض علينا الاسلوب القرآنى جزئية طلب ابليس انظاره الى يوم البعث بصورة اخرى نجدها فى قوله تعالى : « قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين • الى يوم الوقت المعلوم »(٧١) •

وهنا نجد جديدا هو : اقرار ابليس بالربوبية ، وهذا لا يعطى معنى الطاعة ولكن يوضح أن تمرد ابليس كان حسدا لآدم لا تعاليا على الله •

هذا وان ترتب على هذا الحسد معصية الله وغضبه حتى جعل القرآن ابليس بهذه المعصية من المستكبرين ومن الكافرين وطرد من الجنة وهو رجيم •

ونجد أيضا جديدا فى قوله : « الى يوم الوقت المعلوم » لأن الموطن السابق كانت الاجابة : « انك من المنظرين » وكفى وهى لا تضع حدا لنهاية انظاره • وكلمة منظرين تعطى معنى أن يأخذ ابليس فرصة وهذه الفرصة تصبح بغير مضمون عند ظهور الحق فيأتى الأسلوب هنا بتحديد الزمن « الى يوم الوقت المعلوم » وبذا يكتمل المعنى ويفهم المتلقى أن لا يطيع ابليس حتى يفوز فى هذا اليوم ويكون من الناجين •

وقد يقول قائل : ان نفس هذه الجزئية ذكرت بنصها فى سورة (ص) حيث قال رب العزة : « قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم »(٧٢)

---

(٧١) سورة الحجر ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ •

(٧٢) سورة ص ٧٩ ، ٨٠ •

فلا ننسى أن كل موطن مرتبط عضويا بما يتقدمه وما يتأخر عنه • لأننا لابد أن نضع في الاعتبار أن النص القرآني مترابط في موضعه وهذا يجعلنا ننظر الى الموطن على أنه صورة جزئية •

وبذا يصير هذا الجزء عن زاوية أخرى من المعنى وفي نفس الوقت لا يصير عن صورة مستقلة بل مرتبط بما يتقدم عليه وما يتأخر عنه من معاني(٧٣) حتى مكانه في تسلسل القصة يختلف من مكان عن مكان • لأن الصورة الجزئية لا تستقل بمعنى كامل وانما تؤدي دورا وسط معنى كامل في صورته الكلية • وبهذا ينتفي التكرار •

وننتقل الى جزئية أخرى هي : توعد ابليس ادم وذريته وسلطان ابليس وأدوات غوايته :

ويشارك في هذا المعنى سورة (الاسراء) ولم تكن في المعنى السابق وهذا يوضح أن الأسلوب متكامل متآلف في تأدية المعنى من كل جوانبه حتى يصل الى الذروة • والمواطن التي ذكرت فيها هذه الجزئية هي :

١ ــ قوله تعالى : « قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم

---

(٧٣) فنجد في فرقا في الموطن الاول في سورة (الحجر) عنه في سور (ص) وقد وضحنا أن حسد ابليس كان بسبب مرة خلق آدم من الطين وأخرى لانه في خلقه بمراحل طين ثم اثنين وشكل منه آدم وجفا وعلى ذلك ما ترتب على المرتين متغايرا •

وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين • قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين»(٧٤)

٢ ــ قوله تعالى : « قال رب بما أغويتنى لازين لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين • قال هذا صراط على مستقيم • ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين • وان جهنم لموعدهم أجمعين »(٧٥)

٣ ــ قوله تعالى : « قال أرءيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا • قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا • واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا • ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا »(٧٦) •

٤ ــ وقوله تعالى : « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين • قال فالحق والحق أقول • لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين »(٧٧) •

عداوة متأصلة فى نفس ابليس لعنه الله ففى الموطن الأول يقسم باغواء الله له أو يجعل الغواية سببا فى أن يأخذ العهد على نفسه ويؤكد (لأقعدن) والاقعاد يكون اما بقعود

---

(٧٤) سورة الأعراف ١٦ ، ١٧ ، ١٨ •

(٧٥) سورة (الحجر) من الأية ٣٩ الى ٤٣ •

(٧٦) الاسراء من ٦٢ الى ٦٥ •

(٧٧) سورة ص ٨٢ : ٨٥ •

ابليس لعنه الله على الصراط المستقيم ويعمل على تحريف بنى آدم عن الاستقامة ، او يلبس على آدم وذريته الاستقامة بأن يصورها غير محببة أو يزين الانحراف عنها • وبذلك اما أن يجعل الاستقامة غير سهلة ، أو يغوى عنها الى غيرها

والصراط المستقيم عندما نسب الى الله بكاف الخطاب «صراطك المستقيم» يعنى نهج الله وشرعه ، أو قيام الانسان بالتكاليف التى كلفه الله بها ، أو الصراط : الطريق الموصل الى الله ، ويكون بذلك أعم لأنه يدل على أصل الايمان • وبغيه ابليس أن ينحرف بنوآدم عنه •

ويستقيم هذا المعنى الأخير مع التراخى « ثم لآتينهم » اذ الأسلوب يعطى للمتلقى صورة محاولة ابليس المتكررة ، اذ بعد أن يحاول صد الانسان عن أصل الايمان ، من يتغلب عليه ويؤمن ، يأتيه بعد ذلك من طرق عدة « من بين أيديهم» أى مما هم مقبلون عليه من الحياة « من أمر دنياهم »(٧٨) •

ويأتى التقابل فيوسع مفهوم طرق ابليس فى محاولاته الدائبة لغواية الانسان « ومن خلفهم » فى أمر آخرتهم « وعن أيمانهم » من جهة حسناتهم يبطئهم عنها « وعن شمائلهم » من جهة سيئاتهم يزينها لهم »(٧٩) ويستقصى الأسلوب

---

(٧٨) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير فى (تفسير القرآن العظيم) المشهور بتفسير ابن كثير ط مكتبة دار التراث بمصر د.ت ج ٣ ص ٢٠٤ •

(٧٩) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠٤ •

الجهات الأربع ليصور سلطة ابليس لعنه الله وتوعده وملاحقته للانسان من كل جهة وهو أمر صعب وسبحان الله مع صعوبته لا ينفصل الانسان عن رحمة ربه لأن ابليس لا يستطيع أن يأتى الانسان من جهة هذه الرحمة فلم تقل الآية ومن فوقهم وهذه دقائق فى الأسلوب استخرجها لنا علماء التفسير(٨٠) الأجلاء .

ونسى ابليس هذه الرحمة فنقل القرآن زعمه واطمئنانه لوسائله « ولا تجد أكثرهم شاكرين » ويخرج من الجنة مذموما مهينا ذليلا .

ونجد هذه الجزئية من القصة فى الموطن الثانى بأسلوب مختلف فنرى زيادة فى المعنى قوله « رب » وهى لم تكن فى الموطن السابق وتعطى للمتلقى معنى أن ابليس يتعالى على آدم وليس على ربه لأنه لم يخرج عن حدودها وأقربها فى خطابه ، وهو معنى جديد لم يمر بنا فى الموطن السابق .

وأخذت الغواية هنا صورة مختلفة فهى تعرفنا ـ بالتخصيص بعد التعميم ـ بأن ابليس سيغير الواقع ويخلط الأمور ويجمل طريق المعصية « لأزينن » .

ونجد هنا معنى آخر لم يذكر فى الموطن السابق ولكن ترابط مواطن ذكر القصة مع بعضها يستدعى هذا المعنى،

---

(٨٠) المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٠٤ .

فالموطن الاول جعل ابليس يأتى للانسان من كل جهة حقا جعل جهه الرحمة ليست فى مقدور ابليس ، ولكن قدرته على المجىء لغواية الانسان من الجهات الأربع يدخل فى نفس الانسان الخوف من ابليس وصعوبة مقاومته ، لذا نجد ـ ما يترتب على ذلك ـ هنا فى هذا الموطن أن هناك عباداً لله مخلصين بفتح اللام لا يستطيع ابليس التغلب عليهم « الا عبادك منهم المخلصين » وهذه كلمة « عبادك » من عرف طريق العبادة هذه واحدة ف « منهم المخلصين » هذه ثانية وهذا يعطى لكل انسان حسب مقدرته وضبط ارادته وقوة ايمانه وان كان العون فى ذلك مساندة الله وتوفيقه . وبهذا نجد تغايرا فى الأسلوب وفى نفس الوقت تكاملا بين الموطنين فى المعنى الكلى للقصة .

ويأتى قول المولى سبحانه « قال هذا صراط على مستقيم» فيما يشبه الحكم الذى لا يقبل النقض ليضع أمام الانسان المسئولية فى اختياره وتحمل نتيجة هذا الاختيار وهذا المعنى خاص بهذا الموطن دون سابقه وبعد ذلك يرسخ ـ فى عرض هذه القصة ـ أن الله لن يتخلى عمن تمسك به، وقاوم فى معركته مع ابليس « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » وهذا تأكيد ربانى جميل يزرع فى نفس المتلقى أن يرتبط بهذه العبودية لله ويعتصم بربه وفى هذه الحالة يصبح سلطان ابليس غير ذى جدوى ولا خطر له أما من يبتعد فان الشيطان سيغويه ولذا جاء الاستثناء يوضح هذه الجزئية ، وتكون النتيجة عادلة ، فقد حدث التنبيه وتسلح الانسان بالمعرفة ، ويصبح من يتبع الشيطان جزاؤه

والشيطان جهنم تنتظره فى ميعاد يحدده رب العزة • « وان جهنم لموعدهم أجمعين • وعلى ذلك تصبح مهمة الانسان كفاحا أو كما يقولون : « الروحانية هى ، قبل كل شىء جهاد وكفاح ومغالبة »(٨١) •

وفى الموطن الثالث نجد أنفسنا أمام معالم مستقلة فى صورته الجزئية وصياغة متغايرة وأسلوب مختلف يعالج نفس الجزئية من قصة آدم وهو توعد ابليس آدم وذريته بالغواية ولكن على خصائص التتابع التكاملى نجد هنا تصريح ابليس بسبب عداوته لآدم وتوعده له ولذريته انها جاءت بسبب تكريم الله لآدم • ولم تأت العداوة والتوعد بلفظ مرادف لا مر فتعيد نفس المعنى ولكن جاءت بلفظ ينقلنا لزاوية أخرى من طرق التلقى فى قوله : « لأحتنكن ذريته » أى لأستولين عليهم ، (٨٢) ولأسيطرن عليهم وأسيرهم تبع هواى (٨٣)

ويأتى قوله « الا قليلا » ليجعل من ينجون من كيد ابليس قليلين وهم المخلصون فى الموطن السابق ، ويأتى مع عون الله فى التغلب على كيد ابليس وعدم الوقوع فى حبائله ـ الذى اتضح فى الموطن السابق اختيار الانسان

---

(٨١) فؤاد زكريا (دكتور) فى (آراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافه) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٧٥ ص ١٢٢ •

(٨٢) ابن منظور فى (لسان العرب) طبعة دار المعارف مادة (حنك) من احتنك الجراد الكلأ : أى استولى عليه •

(٨٣) المصدر السابق من احتنك الدابة أى الغرض حنكها حبلا وقادها •

الذى بدا واضحا « قال اذهب فمن تبعك منهم » ويكون فعل الشرط موضحا اتباع ابليس واذا تحقق هذا كان ابليس ومن تبعه يستحقون جزاء جاهزا معدا والجمع فى « فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا » يجعل من طاعة ابليس خطرا وأى خطر لأنه استوجب الجزاء وجمع مع ابليس فى نفس الجزاء وهو جهنم ٠

ويعطى ابليس سلطات لحكمة وان خفيت علينا وهذه السلطات تعطى المواجهة لونا جديدا فى هذا الموطن ٠ ووضوح عنف المواجهة بعد توضيح جزاء من يتبع ابليس يدفع الانسان لأن يغالب فى هذه المعركة « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » وهذا لم نجده فى الموطن السابق واذا أفاد الأسلوب معنى : افعل ما شئت فانه فى نفس الوقت يجسد حركة ابليس بعدما اكتفى الموطن الأول بمجىء ابليس من كل جهة أو تزيينه للمعصية كما فى الموطن الثانى ، أما هنا فانه يفزع ويستخف الناس بصوته ونرى مع الصوت الحركة « واجلب عليهم » وتصبح المعركة محسوسة مسموعة مرئية فيها من يركب الخيل ومن يترجل ٠ فهى معركة ليست سهلة تصل ذروتها فى قوله : « وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم » وهذا لم نره فيما سبق فعرفنا جديدا فى نفس الجزئية من القصة وجاء الأسلوب فى كل موطن بصورة مستقلة وتركيب خاص وأصبحت الفائدة متجددة مع كل موطن وهو ما نقصده بالتتابع التكاملى عندما تتعاون جميع النصوص فى ابراز المعنى كاملا ٠

ويأتى قوله « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » .

بعد الاستثناء السابق « لاحتنكن ذريته الا قليلا » وشتان ما بين المعنيين اذ الاستثناء قبل ذكر أدوات ابليس وعنف مواجهته أما هنا فيأتى بعده وبذا يوضح عدم جدوى هذه الأدوات مع عباد الله الذين ركنوا الى الله وبهذا انتفى تماما سلطان ابليس من عليهم . ومن توكل على الله كفاه هذا الشر وأراحه من هذا العناء وهذه معانى لم نجدها قبل ذلك .

ويأتى الموطن الرابع والأخير ليسهم بزاوية جديدة فى أداء المعنى وهى : هل فى هذا القضاء على الانسان فى معركته مع ابليس وقد تسلح بهذه العده ، حق وعدل ؟ فيأتى الموطن الأخير ليجيب عن هذا التساؤل .

وأيضا القسم بعزة الله سبحانه وتعالى « قال فبعزتك » جديد فى هذا الموطن ، وقوله : « فالحق والحق أقول » أنا الحق وأحكم بالحق ويتمثل تمام الحق والعدل فى اكتمال معنى من أطاع ابليس بعد بيان عداوته وظهور وسائله — وفى نفس الوقت تحصين القرآن للانسان — يكون مستحقا للجزاء وما ينتظره من عقاب ولهذا نصل الى كمال النظم « الذى يقاس بالقدرة على نقل الفكره والعاطفة نقلا صحيحا » (٨٤)

---

(٨٤) أحمد أمين فى (النقد الادبى) ط مكتبة النهضة المصرية طبعة خامسة سنة ١٩٨٣ ص ٥٣ .

والجزئية التى تعقب ذلك والأخيرة من قصة آدم هى : سكنى آدم الجنة ، وغواية الشيطان له . والهبوط الى الأرض ، ونجد هذا فى المواطن التالية :

قوله تعالى :

١ ـ « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فأزلهما الشيطن عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين • فتلقى آدم من ربه كلمت فتاب عليه انه هو التواب الرحيم • قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٨٥) •

٢ ـ وقوله تعالى : « ويآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووزى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين • وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين • فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان

---

(٨٥) سورة البقرة من ٣٥ : ٣٨ •

الشيطن لكما عدو مبين • قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين •

قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين •

١ — وقوله : « فقلنا يآدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى • ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى • وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى • فوسوس اليه الشيطن قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى • فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى • ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى • قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى »(٨٧)

فى الموطن الأول اقتضت مشيئة الله أن يسكن آدم وزوجه الجنة ينعمان بعيش رفيه ، ومع حرية الاختيار هناك تكليف « ولا تقربا هذه الشجرة » وذلك لتهيئة آدم للقيام برسالته على الأرض لأنه « بعد ذلك أهبط الى الارض مع وجود ما فيها مشتهى له أن منعه من تناوله من أشد التكاليف » (٨٨) ويحدث نظرا لحسد ابليس لآدم أن

---

(٨٦) سورة الاعراف من الآية ١٩ وحتى ٢٤ .

(٨٧) سورة طه من ١١٧ : ١٢٣ .

(٨٨) الفخر الرازى فى (التفسير الكبير) طبعة ثانية طبعة دار الكتب العلمية طهران جـ ٣ ص ٣ .

ابليس أوقع آدم وزوجه فى الخطيئة ، ويترتب على ذلك خروج آدم وزوجه مما هما فيه ، ونلاحظ لأول مرة يذكر ابليس فى القصة بالشيطان لأنه أوقع بآدم بخبائله(٨٩) .

ويأتى أمر الله باهباط الجميع الى الأرض . ونستحكم العداوة بسببين : ظن ابليس أن آدم سبب طرده من الجنة وغضب الله عليه ، وتسبب ابليس فى طرد آدم وزوجه من الجنة باغوائهما « بعضكم لبعض عدو » ولكن لابد من العودة بعد دار الابتلاء « ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين » وعلى ذلك الدنيا تصبح مرحلة بين اثنتين الأولى فى الجنة والثانية هى العودة الى الله حسب هذا النص .

ولكن ما موقف آدم بعدمعصيته ؟ انه تلقى من ربه كلمات جعلته يتوب وقبل الله توبته . ويظن البعض أن قوله من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ودجلك سبحانه بعد ذلك « قلنا أهبطوا منها جميعا » تكرارا لنفس القول المتقدم فى نفس الموطن للأمر بالهبوط ، وهذا خطأ لأن : المعنى مختلف والأمر الثانى جاء بعد حدوث متغيرات لا تجعل الموقف يعاد بملابساته . « لأن آدم وحواء لما أتيا الزلة أمرا بالهبوط فتابا بعد الأمر بالهبوط ووقع فى قلبها أن الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة وجب أن لا يبقى فأعاد الله الأمر بالهبوط ثانية ليعلما أن الأمر

---

(٨٩) لأنه من الشنطن : الحبل أو الشيطان كل عات متمرد (لسان العرب) ط دار المعارف مادة شطن .

بالهبوط كان تحقيقا للوعد المتقدم فى قوله : « انى جاعل فى الأرض خليفة » (٩٠) .

وبهذا يكون اللفظ القرآنى مرتبطا بدقائق من لايتدبرها يظن أن هناك تكرارا للأمر بالهبوط ومن يتأمل لا يجد هذا التكرار .

ويحدد الموطن الأول وستور الحياة « فاما يأتينكم منى هدى الخ ... » .

وتكون رسالة الانسان على الأرض قيام شرع الله . وكل فترة يمدهم المولى بالرسل الى أن جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . فمن اتبع الهدى فاز ونجا .

ويأتى الموطن الثانى ليعالج الجزئية السابقة بأسلوب مختلف .

ويعد هذا الموطن أكثر المواطن التى أفاضت فى عرض غواية الشيطان لآدم وزوجه حتى وقعا فى المعصية . ونجد فى الموطن السابق عدم تصريح ابليس بعداوته فى سورة « البقرة » وان كان أبى واستكبر وكان من الكافرين (٩١) .

أما هنا فقد طلب أن ينظر وصرح بتصميمه على اغواء آدم وذريته ، فكان الموقف مختلفا ولذا دقائق الأسلوب

---

(٩٠) الفخر الرازى فى (التفسير الكبير) ط دار الكتب العلمية طهران جـ ١٤ ص ٤٩ .

(٩١) المقصود فى سورة الاعراف فى سياق قصة آدم .

جاءت على وجه جديد . فترى سكنى الجنة ترتب عليه نعيم وقرب وطمأنينه « اسكن » مع تحميل ارادة آدم تبعة الاختيار ولذا وجدنا هناك « وكلا منها رغدا » وتأخر قوله « حيث شئتما » فكان السابق التنعم أما هنا فالسابق ضبط الارادة حسب طاعة الله والاختيار على ضوء المباح « فكلا من حيث شئتما » .

وجاء بعد ذلك المنهى عنه « ولا تقربا الخ » وهذه لطائف دقيقة تظهر بمعاودة فهم النص وتقليب الفكر فى الأسلوب مرة بعد أخرى . حتى نصل الى ان كل موطن يعالج المعنى من زاوية معينة وان اتحدا فى المعنى الكلى .

ثم غواية الشيطان كانت فى الموطن السابق حمل آدم وزوجه على الزلل أو الزوال من الجنة ، أما هنا فنجد الأسلوب يشخص كان ذلك « فوسوس لهما الشيطان » ونجد بعد هذه الوسوسة تماما عاقبتها أو نتيجتها لكى يجد المؤمن الأمر ظاهرا ويأخذ حذره من الشيطان « ليبدى لهما ما ووري الخ ... » ولو عرف آدم وزوجه ذلك ما أقدما على الاقتراب من الشجرة فضلا عن الأكل منها لأننا نجد ابليس لم يوضح غايته التى يرمى اليها « وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الخ » .

وهكذا جعل المعصية فى صورة خير ينصحهما بنواله ليوقظ فى نفس آدم وزوجه الرغبة ويحضهما على المعصية، بل انه يتبع ذلك بالقسم خداعا فكذبا .

ونجد هنا تجسيدا لفعل آدم وزوجه حين ارتكاب المعصية « فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة الخ » وتحقق لابليس غرضه وتعرى آدم وزوجه من عالم الطاعة الى عورة المعصية ، فاحتاجا الى ستر فأخذا يقطعان من ورق الجنة ليستترا وشتان ما بين ستر الله وأوراق الشجر .

ويوضح أسلوب القرآن عتاب الرحيم لعبده ناداهما ليتعلما من هذه التجربة ويوضح لهما عداء ابليس .

ويأتى الاعتراف بالذنب وطلب العفو والمغفرة — ونرى صورة الكلمات « ربنا ظلمنا أنفسنا والا تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وهى لم تذكر قبل ذلك ، واذا ركزت نهاية القصة فى الموطن السابق على اتباع هدى الله عند مجيئه ، فالنص هنا يقرر العداء المستحكم بين آدم وذريته وبين الشيطان » ليكمل مع المعنى السابق أن هدى الله يحتاج الى مغالبة الشيطان .

أما فى الموطن الثالث والاخير فنجد فيه زوايا جديدة من المعانى يبدأ باظهار عداء ابليس لآدم وزوجه « فقلنا يـآدم ان هذا عدو لك ولزوجك الخ » وبهذا يفيد هذا الموطن شيئا جديدا لم يمر بنا ، فقد حدث تنبيه لآدم من عداوة الشيطان لأنه سيحاول اخراجه من الجنة ، وهو شىء يدل على فكرة قبول التوبة اذا رجع الانسان عن معصيته على الرغم من معرفته بالمعصية ، ونجد بدلا من التصريح بالأكل من الشجرة — ما يترتب على الخروج من الجنة من الشقاء ، وبذا نحن أمام معان جديدة ونجد صورة الجنة

مختلفة « ان لك ألا تجوع فيها الخ » « وانك لا تظمؤ فيها ولا تصحى » وهذه معان لم نجدها فيما سبق لأن النصوص السابقة دلت على وفرة النعيم وبذا جاء كل موطن على نسق مختلف فى الدلالة على المعنى وحتى بعد الاكل من الشجرة لم يصرح النص السابق بأن هذا معصية أما هنا « وعصى آدم ربه فغوى » واذا وجدنا فى النصين السابقين أولا : الاشارة الى كلمات التوبة .

وثانيا التصريح بهذه الكلمات فهنا نجد معنى جديدا فى هذا السياق هو أن الله هو الذى قرب آدم « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » وبعد الأمر بالهبوط واستحكام العداء بين ابليس وبين آدم وزوجه يأتى قوله تعالى « فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » وبهذا نجد اضافة تضاف الى ما سبق فهدى الله يعصم من الضلال وما يترتب عليه من شقاء ويتسع عدم الشقاء فيشمل العودة الى دار النعيم .

وبهذا تفرد كل موطن بالتعبير عن المعنى من زاوية معينة وشاركت كل المواطن فى ابراز المعنى كاملا من كل الوجوه وبهذا ينتفى التكرار ويوجد التتابع الكاملى فى قصة آدم .

ثبت بالمصادر والمراجع

١ ـ أحمد أمين (النقد الأدبى) ط مكتبة النهضة المصرية طبعة خامسة سنة ١٩٨٣ ٠

٢ ـ أحمد جمال العمرى : دكتور (مفهوم الاعجاز القرآنى حتى القرن السادس الهجري) ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤ ٠

٣ ـ أحمد عبد السيد الصاوي (النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجانى ـ دراسة مقارنة) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٧٩

٤ ـ ا٠م بوشنسكى (الفلسفة المعاصرة فى أوربا) سلسلة عالم المعرفة ط مجلس الثقافة الكويتى عدد ١٦٥ سبتمبر سنة ١٩٩٢

٥ ـ بكر بن محمد الطيب الباقلانى (اعجاز القرآن) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي دكتور طبعة مكتبة صبيح بالقاهرة د٠ت ٠

٦ ـ بكرى شيخ أمين : دكتور (التعبير الفني فى القرآن) ط دار الشروق بمصر وبيروت طبعة رابعة سنة ١٩٨٠ ٠

٧ ـ أبو يحيى زكريا الأنصارى (فتح الرحمن فى كشف ما يلتبس من القرآن) تحقيق محمد على الصابونى ط دار الفرقان بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ٠

٨ ـ سيد قطب ١ ـ (فى ظلال القرآن) ط دار الشروق سنة ١٤٠٢ الموافق سنة ١٩٨٢ ٠

٢ ـ (النقد الأدبى أصوله ومناهجه) ط دار الشروق طبعة ثالثة سنة ١٩٨٠ ٠

٩ ـ صفوت يوسف زيد : دكتور (التيار الاسلامى فى قصص عبد الحميد جودة السحار) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٨٥

١٠ ـ صلاح فضل : دكتور (علم الاسلوب مادته واجراءاته) ط هيئة الكتاب المصرية طبعة ثانية سنة ١٩٨٥ ٠

١١ ـ عبد الحليم حفني : دكتور (أسلوب الحوار في القرآن الكريم) ط ثانية هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٨٥ .

١٢ ـ عبد الله محمود شحاتة : دكتور (أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٨١ .

١٣ ـ علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) طبعة ثالثة مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٥٥ .

١٤ ـ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير (تفسير القرآن العظيم) المعروف بتفسير ابن كثير ط مكتبة دار التراث بمصر د.ت .

١٥ ـ الفخر الرازي (التفسير الكبير) ط دار الكتب العلمية طهران .

١٦ ـ فؤاد زكريا : دكتور (آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٧٥ .

١٧ ـ ديوزف شتريلكا (الأسلوب الأدبي) تعريب مصطفى ماهر بحث منشور في مجلة فصول النقدية بمصر المجلد الخامس العدد الاول سنة ١٩٨٤ .

١٨ ـ محمد أحمد يوسف القاسم : دكتور (اعجاز القرآن في ترتيبه) بحث منشور في مجلة المنهل السعودية العدد ٤٩١ مجلد ٥٣ سنة ١٩٩١ .

١٩ ـ محمد أبو زهرة : دكتور (القرآن المعجزة الكبرى) ط دار غريب للطباعة بمصر سنة ١٩٧٧ .

٢٠ ـ محمد قطب عبد العال (نظرات في قصص القرآن) سلسلة دعوة الحق ط رابعة العالم الاسلامي بمكة المكرمة العدد ٥٩ سنة ١٤٠٧ هـ .

٢١ ـ محمد لطفي حويل : دكتور (أسلوب الحوار في القرآن الكريم) رسالة دكتوراه مخطوطه في مكتبة كلية اللغة العربية في أسيوط سنة ١٩٨٥ .

٢٢ ـ محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى (أسرار التكرار) د٠ط ٠

٢٣ ـ مصطفى صادق الرافعى (اعجاز القرآن والبلاغة النبوية) ط ثالثة سنة ١٩٢٨ ٠

٢٤ ـ ابن منظور (لسان العرب) ط دار المعارف فى مصر د٠ت ٠

اعـــداد
دكتور/ ماهر احمد محمد احمد الملاح
مدرس الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية بأسيوط